حاضرة مازونة و دورها في خدمة المذهب المالكي
ـ المصنفات الفقهية المازونية أنموذجا ـ

أ/ سفيان شبيرة
غليزان

لقد اعتنى علماء مازونة قديما بخدمة الفقه المالكي أيما اعتناء سواء عن طريق التآليف الفقهية ، أو عن طريق حلقات التدريس ، أو حتى عن طريق بعض الاجتهادات و الاستدراكات على الكتب الأمهات التي عنيت بالاهتمام بالمذهب المالكي ، الأمر الذي بإمكانه أن يؤسس لخصوصية المدرسة المازونية في التأصيل للفقه المالكي ، هذه الخصوصية التي مازالت لم تعنى بالبحث و التأصيل على الرغم من قيمة الإضافة التي يمكن أن تضيفها لثُنائية المذهب المالكي و المغرب الأوسط (الجزائر) .

و عليه فقد ظهرت بحاضرة مازونة عدة تآليف في المذهب المالكي ، ألَّفها علماء مازونة سواء ممن ولدوا بأسوارها ، و استقروا بها ، أو ممن تتلمذوا على يد علمائها فصح لنا بذلك نسبتهم لمازونة باعتبار فضل المدينة عليهم ، فتنوعت هذه التآيف بين أن تكون عبارة عن حواشي على شروخ مختصر خليل ، أو جمع للنوازل الفقهية ، أو ردٍّ على أسئلة واردة و استفهامات حول مسائل مشتهرة في المذهب المالكي ، غريها من الفنون الأخرى التي ألف فيها علماء مازونة ، منها ما هو مكتشف ، و منها مازال في خزانات العائلات المازونية ، و لعل من أبرز هذه التآليف : كتاب الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبي زكريا يحي المازوني ، وكتاب الأجوبة الفقهية للشيخ الرماصي أحد ابرز علماء مازونة في العصور المتأخرة ، و الشيخ محمد بن علي السنوسي الذي يعود الفضل في ظهوره و براعته لمدرسته الأولى التي لقنته المبادئ الأولى للعلم الشرعي ألا و هي مدرسة مازونة الفقهية ، و غيرها من التآليف الأخرى .

و عليه يمكن طرح الإشكالية الآتية :

.كيف استطاعت مازونة أن تجد لنفسها مكانا ضمن الحواضر العلمية التي خدمت المرجعية المالكية ؟

. و ما هي أهم المصنفات التي أثرت بها حاضرة مازونة الخزانة المالكية ؟

و قد حاولت أن أُجيب عن هذه الإشكالية من خلال الخطة الآتية :

المبحث الأول : الحركة العلمية بحاضرة مازونة

المبحث الثاني : نماذج من التصانيف الفقهية المالكية المازونية

المبحث الأول : الحركة العلمية بحاضرة مازونة

المطلب الأول : التعريف بحاضرة مازونة .

إن الباحث في تاريخ هذه المدينة يتعثر بعقبة شُحِّ الدراسات التي تناولت تاريخ مازونة ، و ندرة من تطرق إليها من المتقدمين [1]،لذلك لم يتوصل المؤرخون إلى تاريخ تشييد المدينة ، إذ اكتفت المصادر التاريخية بالقول إن مازونة تأسست على أيدي أبناء قبيلة مغراوة ، و منه يمكن القول إنه يعود تأسيس المدينة إلى العصور الوسطى ، و بالضبط بين القرن السابع و الثالث عشر هجري ، إذ خلال هذه الفترة لعبت قبيلة مغراوة دورا تاريخيا مهما في المغرب الأوسط [2].

و بذلك اعتبرت مازونة حاضرة من حواضر إمارة مغراوة بالإضافة على مدينة تنس و مستغانم ، و ظلت على هذه الحال إلى أن اشتهر حالها أكثر بعد الاحتلال الإسباني للمرسى الكبير و وهران ، حيث انتقلت إليها مجموعة كبيرة من الأسر المرساوية و الوهرانية ، مما أدى بالسلطة التركية إلى اتخاذها عاصمة للغرب الجزائري ، ليس لكونها كانت مدينة كبيرة أو أنها تفوقت علميا أو حضاريا على مدن أخرى بالغرب الجزائري كتلمسان مثلا ، و لكن لكونها كانت في منأى عن الهجومات الإسبانية لوقوعها على سفوح جبال الظهرة و أبعد ما كانت عن الساحل ، و استمرت بذلك مازونة عاصمة للغرب الجزائري من 1586م إلى 1701م [3].

و يرجح أحد الرحالة أن تاريخ تأسيس المدينة يعود إلى العهد الروماني ، بدليل العثور على أثار و قطع نقدية رومانية بالمنطقة ، و هذا ما يؤكده الوزّان حيث يقول : " و هي مدينة أزلية بناها الرومان ،حسب قول بعضهم على بعد نحو أربعين ميلا من البحر ، . . . و يشاهد بقرب المدينة مناطق خربة مما كان بناه الرومان ، لا تحمل أي اسم معروف لدينا ، لكن مما يدل على أصلها الروماني العدد الوافر من الكتابات المنقوشة على قطع الرخام " ، و في هذا السياق يذكر الإدريسي أن المدينة كانت موجودة قبل الإسلام بحوالي بضعة قرون [4].

بينما أفاد صاحب الترجمانة الكبرى أن المدينة أسسها أمير بني راشد عام ستين و مائة (160هـ / 776 م) [5].

لكن لعل الراجح ما ذهب إليه ابن خلدون و أكده أبو راس الناصري حيث أفاد ابن خلدون أن المدينة أُسست من قبل أبو منديل عبد الرحمن زعيم مغراوة في القرن : 6 هـ / 12 م

، و يقول أبو راس الناصري : " ثم سافرت لمازونة لأول صومي مدينة مغراوة بناها منديل عبد الرحمن أوائل القرن السادس " .

أما أصل التسمية فقد تداولته ثلاث روايات :

. تقضي الرواية الأولى أن كلمة مازونة هي اسم لرئيس قبيلة زناتية تدعى ماسون .

---

[1] قندوز ماحي : مقدمة تحقيق كتاب الدرر المكنونة في نوازل مازونة ، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، الجزائر ، ص30 .

[2] يحي بن خلدون : بغية الرواة ، تحقيق حاجيات ، الجزائر ، ج 1 ، ص 208 . 248 .

[3] مختار حساني : مقدمة تحقيق الدرر المكنونة ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، ج 1 ، ص 13 .

[4] نقلا عن : بركات إسماعيل : دراسة و تحقيق كتا بالدرر الكنونة من مسائل الطهارة إلى مسألة النزاع بين طلبة غرناطة ، رسالة ماجستير ، حامعة الجزائر ، 2010 ، ص 124 ، 125 .

[5] أبو القاسم الزياني : الترجمانة الكبرى ، تحقيق : غبد الكريم فيلالي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1967 ،ص 48 .

. و تذكر الرواية الثانية أن مازونة هي اسم لكنز من النقود كان بحوزة ملكة بالمنطقة ، إذ كان هذا الكنز يسمى " موزونة " .
. و تذكر الرواية الأخرى أنه كان بالمنطقة ملكا يدعى ماتع، و كانت له بنت اسمها " زونا " ، و كان في المنطقة منبع ماء ، نُسب فيما بعد هذا المنبع لابنة الملك زونا فأصبح يقال للمنبع " ماء زونا " إلى أن أصبحت بمرور الزمن " مازونة" [6].
و لعل الراجح هو الرواية الأخيرة ، لأنه لازالت إلى يومنا هذا تسمية الملك " ماتع " موجودة من خلال ما يسمى بعرش " بوماتع "، الذي يشكل أحد أهم العروش المستقرة بمدينة مازونة القديمة .

و وصفها الوزّان بأنها مدينة متحضرة جدا في القديم ، و فيها جامع و بعض المساجد الأخرى ، و نفس الوصف نجده عند أحد الرّحالة الألمان حيث يقول : " بأن مازونة منذ القديم بلد العلوم الإسلامية ، و لربما أخبرنا أنّ الطالب الذي قرأ الكتب في مازونة ، يتمتع بمكانة لا يتطرق إليها الشك ، كانت بصحنها مدرسة عامرة " [7].
و يذكر الأستاذ مولاي بن حميسي و هو أحد أبناء المدينة عن أحياء مدينة مازونة أنه كان حي أولا سايح في الشمال تقطنه بعض العناصر العربية ، و حي بوماتا في الشرق ، و حي تايسري في الجنوب يسكنه أصحاب الحرف و التجار ، و حي القصبة في الغرب و هو الحي القديم ، و هذا الحي مازال موجودا إلى يومنا هذا [8].

دمرت مازونة عدة مرات حتى كادت أن تختفي لكن إرادة البقاء و العطاء كانت أقوى من رغبة التسلط و الانتقام ، ثم لأن تمركزها على محور الطريق التاريخي الذي كان يربط شرق الشمال الإفريقي بغربه كان يجدد عليها الأدوار و المهام و من ثمة الاستمرار في جدلية البناء و الهدم فالبناء .

المطلب الثاني : التعريف بمدرسة مازونة و حركتها العلمية .

أولا : مدرسة أبو ماتع و دورها في إحياء الحياة العلمية بمازونة

لقد شهدت مازونة قبل تأسيس مدرستها من قبل الشيخ محمد بن شارف المازوني الأندلسي نشاطا علميا لا يقل ضخامة عن ذلك الذي شهدته المدرسة المازونية بداية القرن الحادي عشر ميلادي ، يرجع الفضل في ذلك. على ما يذكر الباحث بن صديق محمد صاحب كتاب الأبواب المأذونة في بلاد مغراوة و مازونة. إلى المدرسة العتيقة التي كانت بالمدينة أو ما يسمى مدرسة أبو ماتع ، و لقد شهدت هذه المدرسة الوقفية نشاطا علميا منقطع النظير[9] ، و من أبرز ملامحه :

أولا : بروز العلامة الفقيه أبو عمران موسى المازوني عاش بداية القرن الخامس عشر

. ديباجة الافتخار في ذكر أولياء الله الأخيار .

[6] محمد يوسف الزياني : دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران ، تقديم و تعليق المهدي البوعبدلي ، الجزائر ، 1978م ، ص 1055 .
[7] هاينريشفون مالستان : ثلاث سنوات في شمال إفريقيا ، ترجمة : أبو العيد دودو ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1976 ، 1/ 231 .
[8] نقلا عن : بركات إسماعيل : دراسة و تحقيق كتا بالدرر الكنونة من مسائل الطهارة إلى مسألة النزاع بين طلبة غرناطة ، المرجع السابق ، ص 125

[9] محمد بن صديق : الأبواب المأذونة في بلاد مغراوة و مازونة ، الجزائر عاصمة الثقافية العربية ، وهران ، 2009 م، ص 93 .

. حلية المسافر و أدبه و شروط المسافر في ذهابه و إيابه .

. الرائق في تدريب الناشئ من القضاة و أهل الوثائق .

ثانيا : أبو زكريا يحي بن أبي عمران المازوني المتوفي حوالي 883 هـ . 1478 م

و لد و نشأ بمازونة ودرس بها على والده ثم انتقل إلى تلمسان ، و أخذ العلم عن ابن مرزوق الحفيد و القاسم العقباني و غيرهما ، تولى القضاء بمازونة و كان من أكبر فقهاء عصره ، ألف كتابه المشهور . كما ستأتي الإشارة إليه . الدرر المكنونة في نوازل مازونة [10].

ثالثا : أبو عبد الله الثابتي

كان يسميه صاحب البستان يحي بن ادريس المازوني كان يحفظ 27000 حديثا [11].

و غير هؤلاء كثير من العلماء الأعلام منهم من بقي بمازونة ، و منهم سافر إلى تلمسان و غيرها من الحواضر الأخرى ببلاد المغرب الإسلامي [12].

رابعا : محمد الأمير المازوني

يقول عنه الباحث . محمد بن صديق . : ((لا ندري إن كان بذاته العلامة الشهير أحمد المغراوي)) ، فمن فيض علم هذه الشخصية و ولايته و صلاحه دان له بمصر كل رئيس و وزير ، و كان باشا مصر على ضخامة سلطانه و علو مكانته يأتيه للتبرك به في العيدين [13].

ثانيا : مدرسة محمد بن شارف المازوني و دورها في إثراء العلمية

شهد المغرب الأوسط عموما و مازونة خصوصا خلال القرن السادس هجري تحولات سياسية هامة منها قدوم الأتراك و الغارات الإسبانية على السواحل الغربية و نزوح أهل الأندلس ، فاختيرت مازونة أول بايلك للغرب الجزائري قبل معسكر و وهران مما زاد في إشعاعها الثقافي و العلمي ، و من أبرز ملامحه تأسيس مدرسة مازونة من قبل الشيخ محمد بن شارف و هو من النازحين الأندلس سنة 1029 هـ و درّس بها 64 سنة ، فشُدت إليها الرحال من كل فج عميق ، و ساهمت بشكل عظيم في تعزيز وجود المذهب المالكي .

و تكريما لعلمائها الذين ساهموا في الجهاد ضد الإسبان جدّد الأتراك بناءها مرارا و تكرار ، و لعل من مشاهير طلبة مدرسة مازونة نجد :

. أبو راس الناصري حيث بلغ عدد أساتذته أكثر من 41 أستاذا جلهم من حاضرة مازونة .

---

[10] الطاهر جنان : مازونة عاصمة الظهرة ، مكتبة الرشاد للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ط1 . 1426 هـ ، 2005 م ،ص 43 .

[11] أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد ابن مريم : البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1986 ، ص 43 .

[12] الطاهر جنان : مازونة عاصمة الظهرة ، ص 38 .

[13] محمد بن صديق : الأبواب المأذونة في بلاد مغراوة و مازونة ، المرجع السابق ، ص 94 .

. محمد بن قندوز المستغانمي خريج مدرسة مازونة ثم الأزهر الشريف و تلميذ الدردير .

. محمد بن علي السنوسي المجاهري صاحب التآلف في تاريخ المغرب و الجزائر [14]

. محمد بن عبد المؤمن الرُّماصي الراشدي .

الشيخ الزناتي المغيلي الإدريسي [15].

. الشيخ سيدي بوعبد الله المغوفل[16]

هذا يصف أبو راس الناصري [17]الذي زار المنطقة ما كان عليه علماء حاضرة مازونة من الاهتمام بالفقه المالكي دراسة و تدريسا قائلا : " وجدت أولئك الشيوخ بعضهم مشهور بمعرفة الأولى (أي الجزء الأول من مختصرخليل) ، و البعض الآخر مشهور بمعرفة الثاني (أي الجزء الثاني من المختصر) و البعض مقصور على الفرائض لا يتعداها و لا يعرف سواها إلا أن المقصور عليها هو حجة فيها " [18]، و يقصد أبو راس الناصري كل من الشيوخ : مصطفى بن هني ، و الشيخ مصطفى بن يونس ، و الشيخ محمد بن ابراهيم ، و الشيخ الزناتي .

و يصف كذلك أبو راس الناصري الشيخ ابن علي المغيلي أحد أعلام حاضرة مازونة قائلا : " إنه صاحب الأصول و الفروع في فقه مختصر خليل " ، و يروي عن الشيخ صادق بن أفغول أنه : " أكثرهم حفظا و أتقنهم للمصنف " .

كما كانت لأحمد بن محمد بن زكري المازوني (899هـ . 1493م) عدة تآليف في مسائل القضاء و الفتيا منقولة في معيار الونشريسي [19].

و كان لشيخ الحسن بن محمد بن مصطفى المازوني الذي عاش في القرن الثاني عشر الهجري كتاب تحفة الملوك في حصر أصول الإرث المتروك ومنهاج السلوك في شرح معاني تحفة الملوك أثرى بهما خزانة الفقه المالكي [20].

كما ألف القاضي عبد السلام كتابا رائعا في الفقه و المسائل القضائية التي تتشرف مكتبة مدرسة مازونة (جامع الترك) بحفظه إلى يومنا هذا [21].

---

[14] طاهر جنان نقلا عن : مولاي بالحميسي : دور مدرسة مازونة في الحركة العلمية و الثقافية من القرن 15 إلى منتصغ القرن 20 ، ص 93 .

[15] بن صديق محمد : الأبواب المأذونة من بلاد مغراوة و مازونة ، وهران ، 2009 م ، ص 103 .

[16] هو سيدي بوعبد الله محمد المغوفل بن محمد بن واضح بن عثمان بن الحاج عيسى بن محمد الملقب بن فكرون لكثرة عبادته في الماء حتى انفلق جلده و هو مدفون مع ابنه سيدي الحاج عيسى بإزاء ورسنيس (الونشريس) و هما يُزارا في كل وقت ، توفي (سيدي بوعبد الله) سنه 924هـ / 1614 م.

[17] هو محمد أبو راس ناصر المعسكري ولد سنة 1150هـ بنواحي معسكر ، أخذ عن والده بمسقط رأسه ، ثمهاجر إلى مازونة ، و ترك ثروة علمية فقهية و علمية كبيرة جدا ، تنيف عن 136 مخطوطا . قندوز ماحي : مقدمة تحقيق كتاب الدرر المكنونة ، ص 45 .

[18] أبو راس الناصري : فتح الإله و منته في التحدث بفضل ربي و نعمته ، تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1990 ، ص 43 .

[19] طاهر جنان : مازونة عاصمة الظهرة ، المرجع السابق ، 49 .

[20] المرجع السابق ص 43 .

[21] بن صديق محمد : الأبواب المأذونة من بلاد مغراوة و مازونة ، المرجع السابق ، ص 106 .

و يقول أبو راس الناصري : " سألني الشيخ محمد بن لبنة عن وجهتي ، فقلت له : ذاهب إلى مازونة ، قال : لم ؟ قلت : لقراءة الفقه ، فقال : و القرآن ؟ فقلت له : لا نعرفه بأحكامه و أنصاصه و ما يتعلق به ، فحفظت في مازونة مختصر خليل ، و فهمته معنى و لفظا في عامي الأول ، ثم قرأت للطلبة الفرائض " .

المطلب الثالث : مظاهر اعتناء علماء مازونة بالمذهب المالكي .

أولا : التآليف المازونية في المذهب المالكي

لقد ظهرت بحاضرة مازونة عدة تآليف في المذهب المالكي ، ألفها علماء مازونة سواء ممن ولدوا بأسوارها ، و استقروا بها ، أو ممن تتلمذوا على يد علمائها فصح لنا بذلك نسبتهم لمازونة باعتبار فضل المدينة عليهم ، و لعل من أبرز هذه التآليف :

. كتاب الدرر المكنونة في نوازل مازونة لـ : هو عبارة عن كتاب جمع فيه صاحبه . أبو زكريا المازوني . أجوبة علماء تونس و بجاية و الجزائر و تلمسان ، و يعتبر الكتاب مصدرا مهما من مصادر المذهب المالكي ، اعتمد عليه الإمام الونشريسي في كتابه المعيار المعرب .

. كتاب تحفة الملوك في حصر أصول الإرث المتروك لـ : الشيخ الحسن بن محمد بن مصطفى المازوني الذي عاش في القرن الثاني عشر الهجري .

. كتاب الرائق في تدريب الناشئ من القضاة و أهل الوثائق لـ : أبي عمران موسى بن عيسى المازوني (والد صاحب الدرر) ، وهو كتاب يقع في مجلد واحد تناول فيه أحكام القضاء و التوثيق على مذهب الإما مالك رضي الله عنه [22] .

. منهاج السلوك في شرح معاني تحفة الملوك لـ : نفس المؤلف (الشيخ الحسن بن محمد بن مصطفى المازوني)[23] .

. كما ألف القاضي عبد السلام كتابا رائعا في الفقه و المسائل القضائية التي تتشرف مكتبة مدرسة مازونة (جامع الترك) بحفظه إلى يومنا هذا [24] .

. و كانت لأحمد بن محمد بن زكري المازوني (899هـ . 1493م) عدة تآليف في مسائل القضاء و الفتيا منقولة في معيار الونشريسي .

ثانيا : دراسة وتدريس المذهب المالكي من قِبل علماء مازونة

لم يهتم علماء مازونة بالتأليف في المذهب المالكي فقط ، بل استغرقوا في دراسة و تدريس المذهب المالكي ، و يصف أبو راس الناصري الذي زار المنطقة ما كان عليه علماء حاضرة مازونة من الاهتمام بالفقه المالكي دراسة و تدريسا قائلا : " وجدت أولئك الشيوخ بعضهم مشهور بمعرفة الأول (أي الجزء الأول من مختصر خليل) ، و البعض الآخر مشهور بمعرفة

[22] الطاهر جنان : مازونة عاصمة الظهرة ، المرجع السابق ، ص 43 .

[23] بن صديق محمد : الأبواب المأذونة من بلاد مغراوة و مازونة ، المرجع السابق ، ص 106 .

[24] طاهر جنان : مازونة عاصمة الظهرة ، المرجع السابق ، 49 .

الثاني (أي الجزء الثاني من المختصر) و البعض مقصور على الفرائض لا يتعداها و لا يعرف سواها إلا أن المقصور عليها هو حجة فيها " ، و يقصد أبو راس الناصري كل من الشيوخ : مصطفى بن هني ، و الشيخ مصطفى بن يونس ، و الشيخ محمد بن ابراهيم ، و الشيخ الزناتي .

و يصف كذلك أبو راس الناصري الشيخ ابن علي المغيلي أحد أعلام حاضرة مازونة قائلا : " إنه صاحب الأصول و الفروع في فقه مختصر خليل " ، و يروي عن الشيخ صادق بن أفغول أنه : " أكثرهم حفظا و أتقنهم للمصنف " [25].

و لعل من أشهر علماء مازونة الذي تولى تدريس الفقه المالكي الشيخ ابو طالب محمد بن علي المازوني فهو الوريث الشرعي لمدرسة مازونة التي ورثها أبا عن جد ، فانتصب فيها للتدريس مبكرا ، و كانت له حلقة علمية متميزة حافلة بالطلبة ، إذ كان يدرس مختصر خليل وشرح الخرشي و الزرقاني ، و عرف بطريقته المتيزة و المنفردة في التدريس عامة و تدريس الفقه المالكي خاصة ، حتى تعجب ابو راس الناصري من حلقة شيخه ابو طالب المازوني ، و من كثرة تلاميذه و من شعبيته و حب الناس له .

[25] أبو راس الناصري : فتح الإله و منته في التحدث بفضل ربي و نعمته ، تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1990 ، ص 10 .

المبحث الثاني : دراسة وصفية لنماذج من المؤلفات الفقهية المازونية

المطلب الأول : كتاب "الدرر المكنونة في نوازل مازونة "

أولا : التعريف بصاحب الكتاب :

صاحب الكتاب هو أبو زكريا يحي بن أبي عمران موسى بن عيسى بن يحي المغيلي [26] ، ينتسب إلى قبيلة مغيلة ، و يلقب بالمازوني نسبة إلى بلده مازونة التي ولد فيها ، و نشأ بها ، و قد ذهب جملة من الباحثين إلى فرضية ولادته في الربع الأول من القرن 9 هـ باعتبار سن التلقي من والده المتوفى سنة 833 هـ / 1430م [27] .

لقد ذكر الفقيه يحي المازوني عنوان كتابه في المقدمة بقوله : " ... و سميته بالدرر المكنونة في نوازل مازونة ، و الله أسأل أن ينفع به " ، و هذا هو العنوان الذي أجمع عليه كل من تناولوا كتاب الدرر المكنونة بالدراسة و التحقيق ن لكن ذلك لم يمنع من وروده بصيغ أخرى تعبر عنه منها : الدرة المكنونة في نوازل مازونة، النوازل المازونية ، المازونية ، النوازل المازونية و الأحكام المغيلة .

هذا و تؤكد كل الدلائل كما يشير الباحثين [28] إلى أن الإمام يحي المازوني هو صاحب كتاب الدرر المكنونة في نوازل مازونة ، هذا و ليس هناك ما يشير إلى تاريخ تأليف كتاب الدرر المكنونة أو المدة التي استغرقها ذلك ، غير أن الباحثين ذكروا وجود وصية على إحدى النسخ تفيد بأنه شرع في تصنيفه سنة 1441م .

هذا و لقد أفصح المازوني في مقدمته عن جملة من الأسباب التي حفّزته على تأليفه منها ما تعلق به شخصيا ، أو بوالده المتوفى قبله ن أو بشيوخه الكرام ، أو بعامة الناس ، و منها :

إشتغاله بمنصب القضاء و الإفتاء لفترة طويلة ، و في بيئات متنوعة جعل من البديهي أن تُجمع له مادة فقهية نوازلية غزيرة أودعها في كراريس من غير ترتيب ، ثم أراد تنظيمها على أبواب الفقه ، بالإضافة إلى عم والده ابو عمران موسى على الشروع في تأليف مماثل لولا المنية و القدر لم يمهلاه تحقيق ذلك .

و أما فيما يتعلق بأهمية فإنه يمكن القول إن كتاب الدرر المكنونة يعد حلقة هامة ضمن سلسلة من المؤلفات النوازلية في القرن 9هـ /15م ، إذ يربط بين نوازل البرزلي و معيار الونشريسي ، و قد أشاد الباحثون بذلك ، بل و ذهب بعضهم إلى جعله حلقة مفقودة في تاريخ المغرب الوسيط ، بين كتاب العبر لابن خلدون و كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان ، كما احتوى على جملة وافرة من أقوال مالك و أصحابه و كبار مجتهدي المذهب المالكي ، و متقدميه و متأخريه بشكل متناسق و جمع

---

[26] محمد الحفناوي : تعريف الخلف برجال السلف ، دراسة و تحقيق : خير الدين شترة ، ط 1 (1433 هـ . 2012 م) ، دار كردادة ، بوسعادة (الجزائر) ، ج 1 ، ص189 .

[27] قموح فريد : الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبي زكريا يحي بن موسى بن عيسى المازوني . دراسة و تحقيق لمسائل الجهاد و الايمان و النذور ، رسالة ماجستير ، جامعة قسنطينة ، 2010 م/ 2011 م ، ص 50 .

[28] المرجع نفسه ، ص 100 .

بين آراء فقهاء المدارس المالكية الأربعة : المغربية الأندلسية ، المصرية ، العراقية ، و مدرسة المدينة [29]، هذا و قد اعتبر العلامة محمد النابغة العلاوي الشنقيطي من خلال نظْم بوطْلَيْحِيَّة من الكتب المعتمدة في المذهب المالكي بقوله :

و اعتمدوا نوازل الهلالي و در النثير كالـلالي

كذلك ما يعزى إلى مازونة و هو المسمى الدرر المكنونة[30]

هذا و إذا أردنا أن نقارن بين كتاب المعيار المعرب ، و كتاب الدرر المكنونة في نوازل مازونة ، فإننا سنجد أن معظم النوازل التي جاءت في كتاب الدرر أُعيدت كلها في كتاب المعيار المعرب ، و بالتالي فستكون دراستنا منصبة بنسبة كبيرة على كتاب الونشريسي انطلاقا مما ذكرناه .

هذا و يقول الشيخ البوعبدلي في وصف الكتاب : ((... و هذه الموسوعة الفريدة في موضوعها . و إن أهملها الجزائريون و لم يقدِّروا قيمتها . فقد خلدها التاريخ حيث إن العلامة بن يحي الونشريسي ضمنها موسوعته : (المعيار المعرب عن فتاوى إفريقية و الأندلس و المغرب) ..))

و يقول الشيخ كذلك و هو يتكلم عن القيمة العلمية لهذا الكتاب : ((... و مع الأسف أن جل القراء يظنون أن هؤلاء المؤلفين لكتب النوازل كانوا مجرد جمّاعين للفتاوى ، و ينقلونها و يثبتونها في كتبهم ، فاغتنمنا هذه الفرصة لنقل فقرات من مقدِّمتها ضمنها مؤلفها . صاحب الدرر المكنونة . منهاجه في التأليف ، و تعرض فيها لمساهمة والده أبي عمران موسى في التأليف ... كما أن كثيرا من المعاصرين يبالغون في تسليط أحكامهم المفترضة و المرتجلة على فقهاء البلاد ، و بالخصوص فقهاء مازونة ، بأن اسلوبهم في كتبهم ضعيف مهلهل ، و تعميم هذا الحكم غير مسلَّم ، و ارفع آثاره نثبت نُبذا من تقديم كتاب الدرر المكنونة في نوازل مازونة ....)) [31].

و لعل أهم خدمة قدّمها الشيخ المهدي البوعبدلي لهذا الكتاب و للمرجعية الفقهية المالكية بالجزائر و العالم الإسلامي عموما ، هو اكتشافه لنسخة [32] من كتاب " الدرر المكنونة في نوازل مازونة " منقول من نسخة المؤلف و عليه تقريظ للعلامة

---

[29] قموح فريد : الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبي زكريا يحي بن موسى بن عيسى المازوني . دراسة و تحقيق لمسائل الجهاد و الايمان و النذور ، المرجع السابق ، ص 104 .

[30] محمد النابغة العلاوي الشنقيطي : نظم البوطليحية فيما اعتمد من الكتب و الاقوال ، منشور في آخر كتاب اصطلاح المذهب ، محمد إباهيم علي ، ص 623 .

[31] الشيخ المهدي البوعبدلي : جوانب من الحياة الثقافية بالجزائر في العهد العثماني (من القرن العاشر هجري إلى القرن الثالث عشر) ، أنظر : جوانب من الحياة الثقافية بالجزائر ، جمع و إعداد : عبد الرحمن دويب ، عالم المعرفة ، ط1 (2013 م) ، الجزائر ، ، ص85 .

[32] اكتشفت هذه النسخة بالخزانة التي أسسها الشيخ العلامة عبد القادر بن يسعد البرذعي ، حيث امتاز هذا الأخير بتأسيسه لخزانة كتب قلّ نظيرها بأمهات المدن ببلاد المغرب العربي ، استعان على نسخها بمجموعة كبيرة من النّساخين الأندلسيين فنسخوا له نوادر المخطوطات من أمهات الكتب العلمية ، و قد كان يغلق على معظمها بخطِّه ، و رغم إهمال هذه الخزانة للأرضة و المبيدات مدة قرون فقد بقيت منها بقية نجت من الأرضة و السّلب و النّهب .

الشيخ أحمد بن يحي الونشريسي صاحب " المعيار " قبل هجرته إلى المغرب ، و يمتاز هذا التقريظ الذي نقل من خطِّه أنه ترجم فيه لصاحب " الدرر المكنونة " ترجمة وافية ن إذ أن كل التراجم الموجودة في " ذيل الديباج " و " البستان " لم تذكر في ترجمته إلا سطورا قليلة ،كما احتوى هذا التقريظ على ما يؤكد أن الونشريسي تلميذ المؤلف ، و أن سبب انتقال هذا الأخير (أبو زكريا يحي بن موسى المغيلي المازوني) إلى تلمسان هو تلقيه لاستدعاء من الملك الزياني المتوكل ، و هذا التقريظ مؤرخ في عام 871 هـ .

ثانيا : منهجه في تأليف الكتاب وأثر ذلك على خدمة المرجعية المالكية :

لقد سار الفقيه أبو زكريا يحي المازوني رحمه الله تعالى في تأليفه لكتاب الدرر المكنونة في نوازل مازونة وفق خطة مرسومة ، و منهج واضح معلوم ن أبان عن بعضه في مقدمته و ترك للمطالع ان يتلمس هذا المنهج من خلال تواتر أقوال و إجابات المفتين في المسألة الواحدة أو المتعددة .

و لعل من بين أهمِّ ملامح هذا المنهج :

1 . الناحية البلاغية و اللغوية : إن المتصفح لصفحات هذه النوازل سيكتشف أن اللغة التي كتب بها الكتاب لغة عربية راقية ، بعيدة عن الركاكة و العيِّ ، و هذا ما يدل على الذوق العربي السليم الذي كان يمتاز به علماء و فقهاء المغرب عامة و الجزائر على وجه الخصوص ، و أن العُجمة لم تسر إلى مؤلفاتهم ، و لعل من أبرز ما يدل على ذلك :

. وجود الكثير من الأبيات الشعرية المبثوثة في ثنايا النوازل كشواهد بلاغية أو نحوية أو بيانية .

. شرح بعض المفردات اللغوية ، من خلال الرجوع إلى االكتب الأمهات و المعاجم اللغوية للتحقيق في بعض المسائل اللغوية ، كما فعل المازوني مع قوله تعالى : ((سنسمه على الخرطوم)) فذكر معنى الوسم و الخرطوم ، و كذلك مصطلح الإخالة و هل هو متعدٍّ أم لا ؟ حتى يبين منها وجه النكتة الفقهية .

. إيراده لبعض المسائل البلاغية ،كالمشاكلة التي هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقا أو تقديرا و استشهد بالبيت المشهور :

قالوا اقترح لنا شيئا نُجد لك طبخه قلت اطبخوا لي جبة و قميصا

. هذه المسائل قبل أن ينسِّق بينها المازوني ،كانت مبعثرة غير مرتبة ، حيث قال : ((و ضمّمت جميع ذلك في كراريس عديدة على غير ترتيب خوف الضياع ، و العزم على ترتيبها على أبواب الفقه ليحصل بها الانتفاع)) .

. إن الأسئلة الفقهية و أجوبتها كانت تنطلق من واقع عملي ، اي أنّ المازوني كان قاضيا يمارس مهنة القضاء ، و تعرض له مسائل ، فيقضي فيها باجتهاده ، أو يسأل عنها غيره من العلماء ، و شتّان بين من يحفظ الفروع و بين من يقض في الخصومات .

.كان في الكثير من أحيان يوجه السؤال للأكثر من فقيه ، و كان يجد في بعض الأحيان في إجابة هؤلاء إشكالا فيراجعهم في المسألة [33] .

. جمع المازوني في فتاويه مسائل المتأخرين من علماء تلمسان و الجزائر و بجاية و تونس ن كما صرح بذلك في مقدمته ، و لم يخالف هذا الشرط إلا في بعض المسائل ، حيث نقل بعض أجوبة المتقدمين [34].

. تميزت فاتاوى المازوني بإيراده لبعض المناظرات و المناقشات العلمية الفقهية التي كانت تجري بين العلماء أو الطلبة [35].

.كثرة الاعتماء على مختصر ابن الحاجب الفرعي نقلا و شرحا و سؤالا ، و هذا ما وضّحه المازوني في مقدمته [36].

. اعتمد المازوني أسلوب الفنقلة ، خاصة في المناقشات الفقهية و الأصولية و المنطقية ، فتجد هذه العبارة : " فإن قلتم قلنا " ، تكرّر عنده مرارا حتى تتقرّر النتيجة التي يريد الوصول إليها .

. اشتمل الكتاب على طائفة من المسائل الافتراضية و المَلَح و المستطرفات و الألغاز الفقهية ، و الغرض منها تنشيط القارئ و اختبار ذكائه و ملكته الفقهية ، و إثراء للاجتهاد [37] .

أما فيما يخص منهجه في الاستدلال الفقهي فقد ارتكز على النقاط الآتية :

.كثرة الاستشهاد بفتاوى علماء الجزائر ، ثم الاعتماد على غيرهم .

.كثرة الاستدلال على الفرع الفقهي الواحد ، حتى يفيد القطع في المسألة .

.كثرة جمع الفروع تحت مقصد واحد ، و هو من أنواع تحصيل المقاصد الكلية و الأحكام المحَكَمة لشهادة الفروع المتعددة لها بالاعتبار ، و عدم الإلغاء ، و هو عين ما تذّرع به الفقهاء في تدوينهم للقواعد الفقهية .

. توظيف القواعد المنطقية من خلال التطرق لأشكال القياس المنطقي ، و المهملات في الشرطيات المتصلة ، و القدر المشترك اللازم عنه تحريم الجزئيات ، و رفع الجزئيات إلى الكليات لرفع الخلاف ، و ذلك لأن في الإجابة عن الكليات إجابة عن ما يتفرع عنها من المسائل الجزئية [38].

المطلب الثاني : كتاب " الأجوبة الفقهية "

[33] مثلما حدث في المسؤال الذي وجهه إلى الشيخين محمد بن العباس التلمساني و الحفيد العقباني ، حيث راجع هذا الأخير ، و لم يكن الجواب موافقا لأوله .

[34] مثل مسألة السمسار التي نقلها عن أبي العباس الأبياني .

[35] مثل المسألة التي سئل فيها سعيد العقباني و التي وقع بين طلبة مازونة فيها كلام ، و هي استبراء سوء الظن ، هل يجب في الحرة ، و يدخله القولان المذكوران في الأمَةِ ، فإن بعضهم أوجبه ، و قال غيره لا يجب .

[36] قال المازوني في مقدمة كتابه : ((... و ما يقع مع الأصحاب في المذاكرات أو في مجلس الإقراء من إشكال في كلام بن الحاجب أو شراحه ، و فيها اعترض به بعضهم على بعض ليقع لي التحقيق في الجملة)) .

[37] مثل مسألة صحة إمامة الجني ، و زواج الجني بالإنسية .

[38] مثل مسألة سقوط النجاسة في الصلاة هل يقطع أم يتمادى ؟ قيل تخرج المسألة على ما قرره العلماء من : هل كلُّ جزء من أجزاء الصلاة مستقلٌ لذاته عن بقية الصلاة ؟ أو كلها كالشيء الواحد ؟ .

أولا : التعريف بصاحب الكتاب

هو أبو الخيرات مصطفى بن عبد الله بن مؤمن الرماصي الراشدي ، و الرماصي نسبة إلى قرية " رماصة " من قرى مستغانم ، و في الوقت الذي أشارت فيه الكثير من المصادر إلى تاريخ وفاته الذي كان سنة 1136 هـ [39]، فإن هذه المصادر افتقدت إلى تاريخ ميلاده ، و بناء على ما ذكره صاحب شجرة النور الزكية من أن الشيخ الرماصي توفي عن نيف و تسعين سنة ، فإن تاريخ ميلاده يكون حوالي سنة 1045 هـ [40].

إن من بين أهم الحواضر العلمية التي يعود لها الفضل في تكوين الشخصية الفقهية للشيخ الرماصي حاضرة مازونة ، التي اشتهرت في ذلك الزمان بمدرستها الفقهية ، التي كان لها التأثير البالغ على تكوينه و توجهه الفقهي ، و لعل من أبرز تلقى عنهم العلم بمازونة :

. أحد أسلاف أحمد بن سيدي هني ، فقد نقل الحفناوي ما حكاه له محمد أبو راس المازوني مفتي الديار المازونية أنه سمع من جدِّه أحمد بن سيدي هني أن الشيخ الرماصي و غيره كانوا مسافرين مازونة لقراءة الفقه على أحد الشيوخ من أسلافهم .

. الشيخ محمد بن شارف المازوني ، الذي أخذ عنه الرماصي صحيح البخاري .

و لم يكتف الشيخ الرماصي بالأخذ عن شيوخ مازونة و مدرستها الفقهية بل أخذ عن العديد من المشايخ الآخرين الذين تكونوا بدورهم في مازونة و من أبرزهم : والده عبد المؤمن الذي كان فقيها ، و الشيخ محمد بن علي الخروبي القلعي الذي أخذ عنه العقائد السنوسية ، و عمرو التراري بن أحمد المشرفي الذي رثاه في قصيدة احتوت على أكثر من 150 بيتا [41].

هذا و قد كان للشيخ الرماصي رحلة إلى الغرب (فاس) و رحلة إلى الشرق (مصر) ، و إن كانت كتب التراجم أهملت مشايخه بفاس ، فقد ذكرت الكثير ممن تتلمذ على أيديهم بمصر و على رأسهم الإمام الخَرشي شيخ المالكية في عصره و الذي انتهت إليه رياسة الفقه بمصر ، و كذا الإمام الزرقاني صاحب الشرح على المختصر .

و من أبرز تلامذته الشيخ المنور التلمساني العلامة الأديب المسند دفين مصر [42]، و الشيخ علي المازوني [43]الذي أخذ عن الرماصي بعض اسانيد الكتب ، بالإضافة إلى الشيخ محمد بن علي الشريف الجعدي الذي أجازه الرماصي في جميع مروياته [44].

---

[39] عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر ، دار الفجر ، ط1 (1433 هـ . 2012 م) ، ص 193 .

[40] محمد بن مخلوف : شجرة النور الزكية ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، دار الفكر ، بيروت (لبنان) ، (د . ط . د . ت) ،ص 334 .

[41] مولاي عبد العالي محمد : القيمة العلمية للأجوبة الفقهية للعلامة الرماصي ، الملتقى الدولي الثاني حول مدرسة مازونة الفقهية الجزائرية ، 27.26 ماي 2014 ، غليزان ، ص 05 .

[42] محمد بن مخلوف : شجرة النور الزكية ، ص 317 .

أما بالنسبة لقيمته العلمية فإن المتصفح لكتب التراجم التي ترجمت للشيخ الرماصي سيلحظ من وهلة الأولى ثناء عطِرا ، و تحلية بأرقى الألقاب و الاسماء ، فقد ذكر صاحب شجرة النور الزكية في وصفه : ((الإمام الفقيه المحقق العمدة الفهامة المؤلف المدقق)) [45]، و وصفه عبد الرحمن الجامعي الفاسي بـ : ((حامل لواء الفقه المالكي في عصره و مصره)) [46].

و مما يدل على مكانته العلمية المرموقة مؤلفاته ن و على راسها حاشيته على التتائي التي عدت من الكتب المعتمدة في المذهب المالكي لامتيازها بالضبط و التحرير ن حيث يقول الغلاوي في البوطليحية (البيت 67) عند نظمه للكتب المعتمدة في الفتوى في المذهب المالكي :

و اعتَمَدوا حاشيةً للمصطفى على التتائي كسراج ما انطفى

و قد اعتمد هذا الكتاب غلب ما جاء بعد الرماصي من الفقهاء مثل :

الشيخ محمد الخرشي (الابن) : أشار له بعبارة (تت)

الشيخ الدردير : أشـار له بعبارة (طفى)

الإمام الدسوقي : أشـار له بعبارة (طفى)

الشيخ الصاوي : أشـار له بعبارة (ر)

السنباوي المعروف بالأمير : أشار لع بعبارة (ر)

محمد بن الحسن البناني : أشار له بعبارة (طفى)

و من أبرز مؤلفاته :

. حاشيته على شرح التتائي لمختصر خليل .

. تعليق على شرح الخرشي على المختصر (مخطوط بالخزانة الحسنية برباط عدد 4727 . 13914)

. كفاية المريد في شرح عقيدة التوحيد .

. رسالة في العتاب (لأحد القضاة بالغرب الجزائري يسمى سيدي أحمد بن عامر)

. الأجوبة الفقهية (و هو محل الدراسة)

---

[43] والد أبو طالب المازوني المعروف بابن شارف المازوني ، الذي نفى عبد الحي الكتاني في فهرس الفهارس تتلمذه على الشيخ الرماصي ، أنظر : عبد الحي الكتاني : فهرس الفهارس ، ج 2 ، ص 570 .

[44] مولاي عبد العالي محمد : القيمة العلمية للأجوبة الفقهية للعلامة الرماصي ، المرجع السابق ، ص 07 .

[45] محمد بن مخلوف : شجرة النور الزكية ، المرجع السابق ، ص 334 .

[46] عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر ، ص 152 .

. قصيدة رثائية (150 بيت) [47]

. كتاب في المنطق نسبه إليه أبو راس الناصري [48].

ثانيا : منهجه في تأليف الكتاب :

. سبب التأليف : يرجع سبب تأليف الكتاب إلى كون العالم المغربي قاضي مدينة تطوان أبي الحسن علي بن محمد بركة التطواني بعث للشيخ الرماصي مجموعة أسئلة عبارة عن إشكالات تتعلق بمختصر خليل ن و كان عدد المسائل التي تعلقت بها الأسئلة ما يقارب العشرين مسألة ، و من أبرز هذه المسائل مسألة الفرق بين القول و التأويل ، و مسألة الفرق بين المرقِّد و المسكر ، و مسألة قول الأجهوري لو كان حدًّا لسقط بتوبة ، و مسألة الرجوع للعدلين ، و غيرها من المسائل الأخرى .

. تحرير الأقوال و تمحيصها : و هو المنهج الرفيع الذي تظهر به الأجوبة الفقهية للرماصي ، و من أبرز المسائل التي يظهر فيها التحرير و تمحيص لأقوال العلماء ، ما ذكره في مسألة القراءة في الكنيف : ((أما مسألة الكنيف و القراءة فيه و الذكر بالقلب جائز إجماعا ، لأن الأحكام لا تتعلق به ، و إنما تتعلق بحركة اللسان و هي محل النهي ، و المحصَّل من كلام الحطاب و غيره ، و المعتمد أنه تحرم القراءة فيه ، و أما الذكر فيه أو الدخول بما فيه ذكر و قرآن فمكروه ، و ما فهم من كلام ابن عبد السلام و التوضيح ، و الشارح من التحريم فغير ظاهر ،قاله الحطاب و تبعه الأجهوري ، و أطلق الحطاب الدخول بما فيه قرآن ، ظاهره سواء كان كاملا أم لا ، و استظهر الأجهوري التحريم في الكامل هذا نخبة ما ذكروا فأراد عبد الباقي تلخيص ذلك فقصُرت به العبارة)) [49].

. انتقاده و عدم تسليمه بكل ما هو منقول من كلام الأئمة : لم يكن الشيخ الرماصي مجرد ناقل لكلام أئمة المذهب ، بل كان ينقد كل ما يظهر له أنّه مخالف لقواعد المذهب أو جارٍ على غير أصوله ، و من أمثلة ذلك ما ذكره في تعقيبه على نقل علي بركة التطواني عن الزرقاني في مسألة الدخول إلى الكنيف بما فيه ذكر أو قرآن فقال بعد أن بيّن المسألة و حرّر النقول و الأقوال : ((أراك أيّها السائل تحتفل بكلام عبد الباقي الزرقاني ، و ذلك بمعزل عن التحقيق ، لأن شرحه و شرح الخَرشي لا نكترث بهما في البلاد الراشدية ، لعدم تحقيقهما و عمدتهما كلام الأجهوري و هو كثير الخطأ ، و الله يجزي كلّا بنيته)) [50]، و من أمثلة ذلك أيضا ما ذكره في مسألة كراهية العاج بعد أن قرّر بأن كراهية العاج في المذهب إنما هي تجاه الميت و ليس الأحياء : ((و لم أر من ذكر أن المراد به المذكى سوى الخَرشي و عبد الباقي و هما لا يعتدُّ بكلامهما)) [51].

[47] مولاي عبد العالي محمد : القيمة العلمية للأجوبة الفقهية للعلامة الرماصي ، المرجع السابق ، ص 16 .

[48] أبو راس الناصري : فتح الإله و منته ، تحقيق : محمد غانم ، دار الفجر ، الجزائر ، ج 1 ، ص 54 .

[49] مولاي عبد العالي محمد : القيمة العلمية للأجوبة الفقهية للعلامة الرماصي ، المرجع السابق ، ص 07 .

[50] المرجع نفسه ، ص 20 .

[51] المرجع نفسه ، ص 20 .

. إرجاع الفروع إلى الأصول : ذلك أن الأصول تجمع المسائل المتناثرة و تقلل من حدة الخلاف في المسائل الفرعية ، و مثال ذلك ما ذكره في مسألة رماد النجس ك ((و الخلاف فيه مثاره النجاسة إذا تغيرت أعراضها هل تنتقل أو لا ؟)) [52].

. اعتماده الترجيح في الكثير من المسائل : و هو أمر لا يُتهيأ إلا لمن كانت له قدم راسخة في الإحاطة بأصول المذهب و قواعده ، و مثال ذلك ترجيحه بين الأقوال في مسألة غلبة الظن في وجود النجاسة في البرك التي يُتوضأ منها ، فقال بعد نقل كلام الأجهوري و تقسيمه : ((إن لم يتغير على أن معناه لم يظهر التغيُّر ، أو معناه لم يتنجس التغيُّر و قد غلب على الظنِّ التغير فهما جوابان له ، و الثاني منهما ظاهر لأن التغير كتحققه ، و الشك فيه ملغى .... و أصل المذهب لا يخالفه)) [53].

المطلب الثالث : التعريف بكتاب : " المسائل العشر ـ المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد "

أولا : التعريف بصاحب الكتاب

هو محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي الجزائري ، أبو عبد الله ، ولد يوم 12 ربيع الأول سنة 1202 هـ / 22 ديسمبر 1787 م [54] بالقرب من مدينة " يلل " التابعة اليوم إداريا لولاية غليزان ، و اشتهاره بالسنوسي إنما جاء من اللقب الذي كان يحمله جدُّه تبركا بالإمام محمد بن يوسف السنوسي ، عالم تلمسان و صالحها في عصره .

نشأ محمد بن علي السنوسي في أسرة ذات علم و شرف فلتقى مبادئ العلم الأولى من أسرته ،ولعل من أبرز من تلقى على ايديهم العلم من أفراد عائلته عمته فاطمة التي كانت من فضليات نساء أهل زمانها منقطعة للتعليم و الوعظ الإرشاد ، فكان يحضر مجلسها للأخذ عنها الكثير من الرجال ، إلى أن انتقل . الشيخ محمد بن علي السنوسي . إلى مازونة التي كانت مشتهرة بمدرستها الفقهية في ذلك الوقت ليتلقى مبادئ الفقه المالكي ، خاصة مختصر خليل ، و من بين أهم علماء مازونة الذين تلقى على أيديهم العلم نجد :

. الشيخ محمد بوراس المعسكري

. عبد القادر بن عمرو المازني .

. أبو طالب المازني .

. محمد بن علي المازوني .

. الشيخ محمد بن قندوز المستغانمي ، الذي أعدمه الحاكم العثماني بمازونة سنة 1244 هـ [55].

---

[52] مرجع نفسه ، ص 22 .

[53] محمد بن علي السنوسي الحسني الإدريسي : بغية المقاصد في خلاصة المراصد ، إشراف على الطبع : نجيب بن خيرة ، دار زمورة ، الجزائر ، 2011 م ، ص05 .

[54] محمد بن علي السنوسي : شفاء الصدر برأي المسائل العشر ، قراءة و تعليق : محمد أبو أسملمة الجزائري ، دار الإمام مالك ، الجزائر ، ط 1 (1422 هـ . 2001 م) ، ص 02 .

[55] محمد بن علي السنوسي : شفاء الصدر برأي المسائل العشر ، إشراف على الطبع : نجيب بن خيرة ، دار زمورة ، الجزائر ، 2011 م ، ص03 .

و بعد تضلعه في العلم و المعرفة و التوسع في الثقافة الإسلامية ارتحل إلى فاس سنة 1237 هـ ، فمكث بها سبع سنين ، أخذ عن جمع من علمائها الأفاضل ، ثم عاد بعدها غلى الصحراء الجزائرية سنة 1245 هـ أين شهد دخول المستعمر الفرنسي ، فخرج من الصحراء الجزائرية ((بوسعادة)) مهاجرا إلى المشرق حتى نزل بمصر و اتصل بعلمائها مثل الشيخ الصاوي ، حسن العطار ، إلى أن غادر إلى الحجاز و مكث في مكة المكرمة ثمان سنوات ، حيث أسس زاويته على جبل أبي قُبيس سنة 1253 هـ و أقام بها يلقي دروسه و تعاليمه و إرشاداته ، حتى تضافرت الأسباب التي دعنه إلى مغادرة مكة و الانتقال منها إلى برقة (ليبيا) ، ثم إلى طرابلس أين أسس الزاوية البيضاء بالجبل الأخضر ، هذه الزاوية التي انبعثت منها فيما بعد الدعوة السنوسية ، و ستمر الشيخ السنوسي في دعوته و جهاده غلى وافاه الأجل بزاوية جغبوب سنة 1277هـ .

من ابرز مؤلفاته :

. شفاء الصدر برأي المسائل العشر من درر الفقه المالكي .

. إيقاظ الوَسنان في العمل بالحديث و القرآن .

. السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين .

. المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم و أصول الطرائق .

. مقدمة حول موطأ الإمام مالك رضي الله عنه .

. الدُّرر السَّنية في أخبار السُلالة الإدريسية .

. المسلسلات العشرة في الأحاديث النبوية .

. المسائل العشر . المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد .

كل هذه المؤلفات مطبوعة و متداولة .

ثانيا : منهج المؤلف في تأليف الكتاب و أثر ذلك في خدمة المذهب المالكي

. يوضح المؤلف في بداية (مقدمة) مؤَلفِه مكان تأليفه للكتاب ، و هو ما يمكنه أن يعطينا لمحة و لو بسيطة عن الأجواء العلمية و المذهبية التي رافقت تأليف الكتاب ، حيث يقول المؤلف في مقدمة كتابه : ((... أما بعد فإن من أعظم نعم الله عيلنا و أجل مواهبه المسداة إلينا ، ما خولنا به من نعم الحلول بالحرمين الشريفين ، و أسبغنا بجوار ذَيْنَكَ الروضين الأَنَفين معززا له بلقى كرام أخلاء ، و أئمة فضل أجلاء ...)) [56] .

و منه يمكن الجزم من هذا النص أن أُلِّف به الكتاب في بلاد الحرمين الشريفين (مكة المكرمة، و المدينة المنورة) ، و عليه يمكن أن نستنتج أن الإمام السنونسي ظل متمسكا بمرجعيته المالكية في بلاد يصعب فيها التبجح بالمذهب .

. التأدب مع الآخر في معالجة المسائل الفقهية المختلف فيها استطاع الشيخ محمد بن علي السنوسي من خلال العديد من النصوص التي أوردها في كتابه " المسائل العشر " أن يجمع بين ثُنائية الدِّفاع عن المرجعية المالكية للمذهب من جهة ، و عدم

[56] المصدر نفسه ، ص 05 .

الوقوع في مستنقع تجريح المخالف في المذهب أو الانتقاص من شأنه ،فكان ذلك من أنجع الطرق التي استطاع الشيخ السنوسي أن يحمي بها المرجعية المالكية ، و من أمثلة نصوص ذلك قوله : ((و كم من قائل من أفاضل سلف الأمة كابن حنبل ، النعمان و غيرهما الحديث الضَّعيف أحب إلينا من رأي الرجال ...)) ، و قوله في موضع آخر كذلك و هو يستدل بكلام من يخالفه في المرجعية : ((و الكفيل بقرع باب الدخول . يقصد باب الاجتهاد . ممارسة علمي الأصول و المصطلح إذ لا سبيل لمتصرف في أصول الشريعة بدون ولوج تلك الذريعة ... قال شيخ الإسلام : فمن أراد العمل أو الاحتجاج بحديث من السنن أو المسانيد مثلاً ....)) [57].

. استطاع الإمام السنوسي أن يثبت نفسه و يثبت مرجعيته من خلال المستوى العلمي الراقي في عرض المسائل و مناقشتها ، و لعل من أبرز الملامح العامة التي كان يعتمد عليها في مناقشة المسائل :

1. التعريف بالمسألة و تحديد حدودها ، ثم حصر الأقوال الواردة في المسألة كقوله : ((فتحصل أن في المسألة في الفرض سبعة أقوال ، ثلاثة في أول السورة ، أربعة أول الفاتحة ...)) [58].

2 . تحديد منشأ الخلاف : فبعد حصر الأقوال يعمد إلى تحديد سبب أو منشأ الخلاف ،كقوله : ((... و منشأ الخلاف هل هي من الفاتحة أم لا ؟ ، و قال ابن الحاجب : و ليست البسملة منها للأحاديث و العمل اه)) [59].

3 . الترجيح بين الأقوال : و الملاحظ في مناقشات الإمام محمد بن علي السنوسي أنه أغلب حالات الترجيح ، أو حتى الحالات التي يريد فيها أن يخرج عن المشهور ، يستدل و يستند في ترجيحه على كلام أئمة المذهب المالكي ، و من ذلك : ((و قال المازري مذهب مالك قول واحد من بسمل لا تبطل صلاته اه و لكن الورع قراءتها للخروج من الخلاف و قد كان المازري يبسمل سرا ....)) [60].

4 . استدلال بكلام علماء الجزائر خاصة و المغرب الإسلامي عموما ، و من ذللك قوله : ((و أنت تعرف أن الخلاف ليس فيما ذكر ، بل كونها آية اه ،كلام العلامة ابن زكري ..)) [61]، و غيرهـا من الاستدلالات الآخرى التي كان يرجع فيها لكلام علماء المغرب الإسلامي عامة ، و المغرب الأوسط خصوصا.

. تفعيله للكثير من القواعد الفقهية و الأصولية التي بني عليها المذهب المالكي ،كقاعدة "ما جرى به العمل " ، و هي عبارة عن قاعدة يترك فيها الفقيه العمل بالمشهور داخل المذهب إلى غيره من القوال الأخرى ، إذا جرى العمل على تلك الأقوال المرجوحة ضمن المذهب ، و من أمثلة ما يذكر الإمام السنوسي في هذا الشأن : ((و لما ظهر لبعض الفضلاء المتأخرين من المالكية قوة دليل الرفع في الأماكن الثلاثة على حديث ابن عمر اعتذر على تركه في بلاده فقاله ، و قد ثبت عن رسول الله

[57] محمد بن علي السنوسي : بغية المقاصد في خلاصة المراصد ، المصدر نفسه ، ص 116 .

[58] المصدر نفسه ، ص 331 .

[59] المصدر نفسه ، ص 333 .

[60] المصدر نفسه ، ص 334.

[61] المصدر نفسه ، ص 335 .

صلى الله عليه وسلم أنه رفع يديه في الركوع و الرفع من ثبوتا لا مرد له فلا وجه للعدول عنه إلا أن في بلادنا هذه يستحب للعالم تركه ، لأنه إن فعله نُسب للبدعة و تأذى في عرضه ، و ربما تعدى به الأذى إلى بدنه ، فوقاية العرض و البدن بترك سنة واجب في الدين اهـ))[62].

الخاتمة

في ختام هذه الورقة البحثية يمكن استخلاص النتائج الآتية :

أ ـ تنوعت التآليف الفقهية المازونية على النحو الآتي :

1 . جمع للنوازل ، و للوقائع التي كانت تعرض على الفقهاء و الأئمة ، و ترتيبها و تبويبها وفق أبواب الفقه الإسلامي ، و هو ما تجسد في "كتاب الدرر المكنونة في نوازل مازونة " لأبي زكريا يحي المازوني .

2 . الإجابة على إشكالات و استفهامات متعلقة بكتاب من الكتب الأمهات في المذهب ، و هو ما تجسد مع الشيخ الرماصي في كتاب " الأجوبة الفقهية " و هو يجيب أحد قضاة تطوان (المغرب) عن بعض الإشكالات الواردة في مختصر خليل .

3 . تفصيل القول في بعض المسائل التي اختص المالكية بالخلاف فيها ، و ذكر أقوال المالكية و اختلافهم فيها في محاولة لامتصاص عمق الخلافات التي تثيرها العامة جراء هذه المسائل ، و هو ما تجسد في كتاب " المسائل العشر " لمحمد بن علي السنوسي الحسني الإدريسي .

4 . وضع الحواشي على شروح مختصر خليل ، و هو ما قام به الشيخ الرماصي من خلال حاشيته على شرح التتائي ، هذه الحاشية التي أصبحت مرجعا يرجع إليه لتدارك ما أغفله أو اخطأ فيه الكثير من الفقهاء المشهورين .

5 . هذا و قد سجلنا نوعا آخر من التآليف الفقهية لفقهاء مازونة ، و هو عبارة عن تآليف في مجال التوثيق و القضاء ، مثل كتاب " قلادة التسجيلات و العقود و تصرف القاضي و الشهود " لأبي عمران موسى بن عيسى المازوني والد صاحب الدرر المكنونة في نوازل مازونة ، و كتاب "كتاب الرائق في تدريب الناشئ من القضاة و أهل الوثائق " لنفس المؤلف .

[62] محمد بن علي السنوسي : بغية المقاصد في خلاصة المراصد ، المصدر نفسه ،، ص 309 .

ب ـــ لازال على الباحثين اليوم البحث عن مسألة خصوصية المدرسة المازونية في تناول مذهب المالكي دراسة و تطويرا ، إذ وجود العديد من التآليف المازونية و الفقهاء المالكيين الذين ينتمون إلى هذه الحاضرة من شأنه أن يُؤسس لهذه لخصوصية متميزة التي يمكن أن تتميز بها المدرسة المازونية .

ج ـــ لم يتوقف أمرُ حاضرة مازونة في خدمة المذهب المالكي عند هذا الحد فقط ، بل برز أكثر من خلال مساهمتها في تكوين الكثير من الفقهاء المالكية الذي خدموا المذهب المالكي أيّما خدمة ، فبالإضافة إلى الشيخ الرماصي صاحب الحاشية ، و الشيخ عبد الرحمن المجاجي ، نجد كذلك أبو راس الناصري ، و محمد بن قندوز المستغانمي ، و الشيخ الزناتي المغيلي الإدريسي ، و البرزلي . على صحة فرضية حضوره لجلسات علماء مازونة . و غيرهم من العلماء الأجلاء .

د ـــ هذا و قد خدمت حاضرة مازونة المذهب المالكي أيّما خدمة من خلال دراسة و تدريس المذهب المالكي عبر حلقات زواياها و مساجدها، و ذلك ما عبّر عنه الشيخ أبو راس الناصري عند وصفه لرحلته التي قادته لحاضرة مازونة لتلقي العلم الشرعي .

قائمة المصادر و المراجع :

1 . قندوز ماحي : مقدمة تحقيق كتاب الدرر المكنونة في نوازل مازونة ، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، الجزائر.

2 . يحي بن خلدون : بغية الرواة ، تحقيق حاجيات ، الجزائر ، ج 1.

3 . مختار حساني : مقدمة تحقيق الدرر المكنونة ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، ج 1 .

4 . بركات إسماعيل : دراسة و تحقيق كتا بالدرر المكنونة من مسائل الطهارة إلى مسألة النزاع بين طلبة غرناطة ، رسالة ماجستير ، حامعة الجزائر ، 2010 .

4 . أبو القاسم الزياني : الترجمانة الكبرى ، تحقيق : غبد الكريم فيلالي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1967 .

5 . محمد يوسف الزياني : دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران ، تقديم و تعليق المهدي البوعبدلي ، الجزائر ، 1978م .

6 . هاينريشفون مالستان : ثلاث سنوات في شمال إقريقيا ، ترجمة : أبو العيد دودو ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1976 ، ج1 .

7 . محمد بن صديق : الأبواب المأذونة في بلاد مغراوة و مازونة ، الجزائر عاصمة الثقافية العربية ، وهران ، 2009 م .

8 . الطاهر جنان : مازونة عاصمة الظهرة ، مكتبة الرشاد للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ط1 . 1426 هـ ، 2005 م .

9 . أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد ابن مريم : البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1986.

10 . مولاي بالحميسي : دور مدرسة مازونة في الحركة العلمية و الثقافية من القرن 15 إلى منتصف القرن 20 .

11 . أبو راس الناصري : فتح الإله و منته في التحدث بفضل ربي و نعمته ، تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1990 .

12 . محمد الحفناوي : تعريف الخلف برجال السلف ، دراسة و تحقيق : خير الدين شترة ، ط 1 (1433 هـ . 2012 م) ، دار كردادة ، بوسعادة (الجزائر) ، ج 1 .

13 . قموح فريد : الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبي زكريا يحي بن موسى بن عيسى المازوني . دراسة و تحقيق لمسائل الجهاد و الأيمان و النذور ، رسالة ماجستير ، جامعة قسنطينة ، 2010 م/ 2011 م .

14 . محمد النابغة العلاوي الشنقيطي : نظم البوطليحية فيما اعتمد من الكتب و الأقوال ، منشور في آخر كتاب اصطلاح المذهب ، محمد إبراهيم علي .

15 . الشيخ المهدي البوعبدلي : جوانب من الحياة الثقافية بالجزائر في العهد العثماني (من القرن العاشر هجري إلى القرن الثالث عشر) ، أنظر : جوانب من الحياة الثقافية بالجزائر ، جمع و إعداد : عبد الرحمن دويب ، عالم المعرفة ، ط1 (2013 م) ، الجزائر .

16 . عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر ، دار الفجر ، ط1 (1433 هـ . 2012 م) ، ص 193 .

17 . محمد بن مخلوف : شجرة النور الزكية ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، دار الفكر ، بيروت (لبنان) ، (د . ط . د . ت) .

18 . مولاي عبد العالي محمد : القيمة العلمية للأجوبة الفقهية للعلامة الرماصي ، الملتقى الدولي الثاني حول مدرسة مازونة الفقهية الجزائرية ، 27.26 ماي 2014 ، غليزان .